بسم الله الرحمن الرحيم

عبد الرحمن بن أبي بكر بن داود الحنبلي الصالحي الدمشقي
حياته ومؤلفاته

الدكتور حسن حسين تونجبيلك *

لقد زخر التاريخ الإسلامي بالأعلام والأفذاذ الذين كانوا قدوة في العلم والعمل والتقوى. وكان عبد الرحمن بن أبي بكر بن داود الحنبلي الصالحي الدمشقي الملقب بـ «ابن داود» واحداً من هؤلاء الأعلام والأفذاذ، إلا أنه لم يظفر بالشهرة كما ظفر بها بعض العلماء الذين عاشوا قبله أو بعده. ولهذا وددت أن أتحدث عن حياة هذا العالم الجليل أي حياة ابن داود، لكي نتعرف عليه وعلى مؤلفاته القيّمة التي لا تزال مخطوطة غير كتابه المسمى «الكنز الأكبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» والذي قد درس وحقق الجزء الأول منه الزميل الدكتور محمد نور مصطفى الرهوان السوري الجنسية، ودرست وحققت أنا الجزء الثاني منه.

عصره:

لا بد أن نتحدث عن عصر ابن داود قبل أن نتحدث عن حياته حيث أن دراسة عصره لها أهمية كبيرة لمعرفة أفكاره وتقويم أعماله؛ لأن الإنسان يتأثر -بطبيعة الحال- بالأحوال والظروف المحيطة به، والبيئة التي عاش فيها، ومارس أحداثها. ونظراً لهذه الأهمية أحببت أن أبين

---

* الأستاذ المساعد بجامعة حران ، كلية الإلهيات فرع علم الكلام.

الحالة السياسية، والإجتماعية، والعلمية في عصر ابن داود.

١- الحالة السياسية:

عاش ابن داود مابين سنتي ٧٨٢ و ٨٥٦ هـ أي في الربع الأخير من القرن الثامن، والنصف الأول من القرن التاسع. وقد عاش في بلاد الشام حيث كانت هذه البلاد المصرية في تلك الفترة خاضعة لحكم المماليك الجركسية الذي كان مركز حكمهم في القاهرة. وذلك بعد أن عزل حاجي بن شعبان[1] نفسه من السلطة، وانقرضت دولة المماليك البحرية أو الأتراك في سنة ٧٨٥هـ.

ويبدأ حكم المماليك الجراسة من تولي البرقوق السلطة سنة ٧٨٤ هـ، وينتهي بحكم المملوك طومان بن قانصوه الغوري سنة ٩٢٢ هـ.

وكانت الحياة السياسية في تلك الفترة مليئة بالأحداث الجسام، والإضطرابات، والقلاقل والفتن. والثورات ضد السلاطين، فلا يكاد يبايع سلطان حتى يخلع، ويبايع مكانه سلطان آخر. ولذا نرى أن عدد السلاطين الذين تولوا الحكم في هذه الفترة يصل إلى ثلاثة وعشرين سلطاناً. وأن أحد عشر منهم حكموا في الفترة التي عاشها الشيخ ابن داود.

وقد كانت المشاحنات والنزاعات في تلك الفترة سائدة بين السلاطين وأمرائهم، أو بين الأمراء بعضهم مع بعض.

هذا وقد ذكرت في أول الكلام أن مركز حكم المماليك هو القاهرة،

---

١ هو حاجي بن شعبان الأشرف، الملك الصالح. تسلطن بعد وفاة أخيه الملك المنصور علاء الدين علي في يوم الأثنين الرابع عشرين من صفر سنة ٧٨٠ هـ، فدام سلطانه عاماً كاملاً وأشهراً، وكان سنه ست وستين، وقيل تسع ستين والكلام لبرقوق، ثم خلعه برقوق بعد إلزام له من الأمراء لما وقع من الفتن. وتسلطن برقوق سنة ٧٨٤ هـ (النجوم الزاهرة، ج١١، ٢٠٦؛ سمط النجوم العوالي، ج٤، ص ٢٩).

وكان للسلطان نواب في بلاد الشام، وكان النائب في البلد الشامي يتمتع بسلطات تمكنه من تدبير أمور بلده، وكان عنده ما يحتاجه من أسباب القوة وتدبير شئون السلطة: كالجندي والمماليك وبعض الدواوين ونحو ذلك.

وكان للنواب مكانة لدى السلطان في القاهرة، لذا كان كل سلطان جديد يحرص على تواطر ولاء النواب الشاميين له. وقد حصل من بعض النواب ثورات على سلاطينهم، ومجموع تلك الثورات خلال عصر المؤلف يعتبر كثيراً. وقد فصّل الكلام عن تلك الثورات بعض من كتب تاريخ الشام في هذا العصر[٢].

أضف إلى ذلك الضعف العام في الإدارة، وأخذ أموال الناس بالباطل، وهتك أعراضهم وكثرة السلب والنهب الذي كانت ترتكبه المماليك السلطانية.

وقد كان الأمر على هذا النحو سواء في بلاد الشام أو بلاد مصر.

ويصور لنا هذا الواقع الأليم محمد كرد علي في كتابه «خطط الشام» بقوله: «وكانت هذه الدولة التركية الشركسية عجباً في ضعف الإدارة وقيام الخوارج، لأن الملك على الأكثر كان ضعيفاً ينزله عن عرشه كل من عصى عليه، وإستكثر من المماليك، وقدر أن يتسلط على عقول السذج من العربان وأرباب الدعارة والطمع من الناس. والمماليك السلطانية الذين جرت العادة على أنهم يفعلون الأمور المشهور عنهم من أخذ أموال الناس وهتك حريمها. والقاهرة لا شأن لها بعد أن يقاتل المقاتلون على الملك، أو يقاتل القواد العصاة، ويظفر أحد المتنازعين على السلطنة، أو الأمير الذي وسد إليه إجتثاث دابر العاصي الا أن تزين أسواقها سبعة أيام أو ثلاثة أيام على الأقل. تفعل ذلك لأقل حادث يحدث، حتى ولو قبض جماعة السلطان على أحد صعاليك المماليك ممن خامر عليه، واستتبع إناساً من الغاغة. وكانت دمشق في أيام الأتراك ثم في

٢ انظر: خطط الشام، ج٢، ص ١٥٣ وما بعدها؛ العصر المماليكي، ص ٢١٨ وما بعدها.

أيام الشراكسة أخلافهم تزين سبعة أيام لأقل ظفر يقع، فيفرح السلطان، وتدق البشائر. وكان من سلاطين المماليك أهل خير تغلب عليهم الرحمة وحسن السياسة، وكان ضعفهم آتياً من جماعتهم المماليك، لأن لكل أمير منهم جوقة يتفانون في حبه إذا تغلب عليهم خصمه سجنه أو أقصاهم، أو نكبهم، فلا يزالون يعملون على إثارة الضواطر حتى يطلق سراحهم، ثم يعودون إلى ما نهوا عنه، وهكذا دواليك»[3].

ولا شك أن أشنع الحوادث وأعظمها ما قام به تيمورلنك ضد البلاد الشامية من جراء المشاحنات والمنازعات بين طوائف المماليك وبين الأمراء بعضهم ببعض وذلك في سنة ٨٠٢ هـ.

يقول محمد علي كرد في ذلك: «فالقائمون في الأمر هم الذين فتحوا لتيمور السلب للغزو فيما بعد غزوة أذلت العزيز، وأفقرت الغني، وخربت العامر»[4].

ويصور محمد علي كرد ما فعله تيمورلنك من الفظائع بقوله: «أحاط بمدينة حلب، ونهب ما حولها من الضياع، فخرجت عساكر حلب وسائر النواب بعساكرهم، وخرج لقتال تيمور حتى النساء والصبيان من أهل حلب، وأوقعوا مع تيمور، فكان بينهم ساعة تشيب منها النواصي، وقد دهمتهم عساكر تيمور كأمواج البحر المتلاطمة، فلم تلبث معهم عساكر حلب وولوا على أعقابهم مدبرين إلى المدينة، وقد داست حوافر الخيل أجساد العامة، وكان احتمى بالمزارات والمساجد الجم الغفير من النساء والأطفال، فدخل التتر إليهم وأسروهم، وقرنوهم بالحبال، وأسرفوا في قتل النساء والرجال، وصارت الأبكار تفتض بالمساجد وآباؤهن يشاهدهن، ولم يرعوا حرمة الجوامع، وأصبحت كالمجزرة من القتلى، واستمر ذلك أربعة أيام»[5].

---

٣ خطط الشام، ج٢، ص ١٥٣-١٥٤.

٤ المرجع السابق، ج٢، ص ١٥٦-١٥٧.

٥ المرجع السابق، ج٢، ص ١٦٦-١٦٧.

ثم وصل لتيمورلنك إلى حماة وفعل بأهلها كما فعل بأهل حلب من القتل والنهب، وأحرق معظمها، ولم يطل يده إلى حمص فوهبها -كما قال- لخالد بن الوليد[٧] . ثم بعد ذلك وصل تيمورلنك إلى دمشق وفعل بأهلها ما فعل، وذلك في سنة ٨٠٣ هـ[٨].

يصور لنا محمد علي كرد هذه الأفاعيل الفظيعة بقوله: «حل بأهل دمشق من البلاء مالا يوصف، وجرى عليهم من أنواع العذاب وهتك الأعراض شيء تقشعر منه الجلود. واستمر هذا البلاء تسعة عشر يوماً، فهلك في هذه المدة بدمشق بالعقوبة والجوع خلق لا يعلم عددهم، ثم أمر أمرائه فدخلوا دمشق ومعهم سيوف مسلولة مشهورة وهم مشاة، فنهبوا ما قدروا عليه من آلات الدور وغيرها، وسبوا نساء دمشق بأجمعهن، وساقوا الأولاد والرجال، وتركوا من الصغار من عشره خمس سنين فما دونها، وساقوا الجميع مربوطين في الحبال، ثم طرحوا النار في المنازل والدور والمساجد وكان يوماً عاصف الريح، فعم الحريق جميع البلد، حتى كاد لهيب النار يرتفع إلى السحاب، وعمت النار في البلاد ثلاثة أيام بلياليها، ثم رحل تيمور عنها بعد أن قام ثمانين يوماً وقد احترقت كلها، وسقطت سقوف جامع بني أمية من الحريق، وزالت أبوابه، وتقطر رخامه، ولم يبقى غير جدره قائمة، وذهبت مساجد دمشق ودورها وقياسرها وحماماتها، وصارت أطلالاً بالية، ورسوماً خالية، ولم يبق بها إلا الأطفال»[٩].

ومما ينبغي الإشارة إليه أن الناصر فرج بن برقوق خلف أباه في الحكم بعد وفاته سنة ٨٠١ هـ، وكان سنه إذ ذاك ثلاثة عشر سنة، وكان أن أسرع السلطان الصغير إلى الشام سنة ٨٠٢ هـ (١٤٠٠م) على رأس

---

٦ المرجع السابق، ج٢، ص ١٦٨.

٧ تكرمة له، لأنه مدفون في حمص، وهذا زعم ما كان عليه هذا الطاغية من الشدة في الفتك بالمسلمين.

٨ مصر والشام في عصر الأمويين والمماليك، ص ٢٢٢-٢٢٣.

٩ المرجع السابق، ج٢، ص ١٧١-١٧٢.

جيش كبير عندما سمع بعودة تيمورلنك إليها، وبأنه اجتاح حلب، وأخذ يهدد دمشق. ولكن الناصر فرج أدرك حرج موقفه في الشام، وخشي على حياته، فعاد إلى القاهرة تاركاً جيشه يلقى أسوأ مصير على يد تيمورلنك قرب حلب، وهكذا اضطرت دمشق الى التسليم بشروط معينة، وان كان المغول لم يرعوا شروط الأمان الذي منحوه لأهل دمشق. فنهبوا المدينة ودمروها، وأشعلوا فيها النيران كما دمروا معظم الأطراف الشمالية لبلاد الشام[10].

ومن الجدير بالذكر أن تيمورلنك رحل عن دمشق ولم يتعدها إلى فلسطين[11]، ولم يتمكن أيضاً من فتح مصر، مع أنه أرسل جماعة من قواده يكشفون له الطرق. فلما عادوا قصوا عليه ما رأوه وهو ساكت، حتى أتوا على حديثهم فقال لهم: إن مصر لا تفتح من البر، بل تحتاج إلى اسطول لتفتح من البحر. لذلك صرف النظر عن فتحها[12].

وقد علل محمد علي كرد رجوع تيمورلنك عن فتح مصر وفلسطين وغيرهما بقوله: «والغالب أن السبب في رجوع تيمورلنك انتشار الجراد، حتى أكل الناس أولادهم[13]، فأصبح من المتعذر عليه بعد ذلك تموين جيشه العظيم ... وهكذا نجت مدن الجنوب في الشام من تخريبه، وكذلك مصر وما إليها من بلاد افريقية، وسلمت الدولة الشركسية[14]. ثم لم يلبث أن مات تيمورلنك سنة ٨٠٨ هـ»[15].

---

١٠ مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، ص ٢٣٢-٢٣٣.

١١ انظر: خطط الشام، ج٢، ص ١٧٤.

١٢ المرجع السابق، ج٢، ص ١٧٥.

١٣ يعني بذلك أن انتشار الجراد أدى إلى هلاك الزروع والثمار، حتى جاع الناس فأكلوا أولادهم. وغير خاف مافي هذا من المبالغة، فأكل الجراد أقرب الى الناس وأهل لهم من أكل الأولاد.

١٤ المرجع السابق.

١٥ مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، ص ٢٣٥.

٢- الحالة الإجتماعية:

لقد رأينا أن الحالة السياسية كانت مضطربة إلى حد كبير في هذه الفترة من عهد دولة المماليك، وذكرنا أنه لا يكاد يبايع للسلطان حتى يخلع، ويحصل بينه وبين أمرائه ونوابه في مصر والشام نزاعات وخصومات ومشاحنات، ولا يكاد السلطان يقضي على ثورة، حتى تخرج ثورة أخرى، أضف إلى ذلك فتنة تيمورلنك التي تعرضت لها بلاد الشام، والتي أفسدت البلاد وأهلكت العباد.

كل ذلك وغيره أثر على الحياة الإجتماعية تأثيراً سلبياً، لأنها صدى للأحوال السياسية.

فمن المظاهر السلبية في تلك الفترة فقدان الأمن، حيث أن اشتغال الأمراء والحكام للوصول إلى السلطنة واقتتالهم عليها شغلهم عن أن يحققوا للناس الحياة الإجتماعية الطيبة المستقرة. كما أن الحروب الدائرة بينهم لها الأثر السيء في اقتصاد البلاد، لأن الحروب تقضي على مواردها الإقتصادية، وتخل بنظامها الأمني. فنشأت من هذه الإضطرابات والفوضى أمور خطيرة من غلاء المعيشة والقحط والجدب، وبالتالي كثر اللصوص والناهبون في البلاد.

يقول ابن عربشاه عما فعله عساكر تيمورلنك من النهب وأخذ تيمورلنك معه أصحاب الصنائع والحرف وأفاضل الناس وما إلى ذلك، كما ينقله عنه صاحب خطط الشام: «وبينما كان رجال يحاصرون قلعة دمشق أخذ هو يتطلب الأفاضل وأصحاب الحرف والصنائع، واستمر نهب عسكر تيمور لدمشق ثلاثة أيام، وارتحل وجماعته وقد أخذ من نفائس الأموال فوق طاقتهم، فجعلوا يطرحون ذلك في الدروب والمنازل، وذلك لكثرة الحمل وقلة الحواصل، وأصبحت القفار والبراري والجبال والصحاري من الأمتعة والأقمشة، كأنها سوق الدهشة، وكأن الأرض

فتحت خزائنها، وأظهرت من المعادن والفلزات[16] كامنها، وأخذ تيمور كل ماهر في فن من الفنون، وبارع من الناسجين، والخياطين، والحجارين، والنجارين، والأقبامية[17]، والبياطرة، والخيمية، والنقاشين، والقواسين، والبازدارية[18]، وبالجملة أهل أي فن كان. وأخذ جملة من العلماء والأعيان والنبلاء، وكذلك كل أمير من أمرائه، وزعيم من زعمائه، وأخذ من الفقهاء والعلماء، وحفاظ القرآن، والفضلاء، وأهل الحرف والصناعات، والعبيد والنساء، والصبيان والبنات مالا يسعه الضبط».

ثم قال عن دمار دمشق وخرابها وما آل إليه الأمر من جراء ذلك: «ولما رحل تيمور عن دمشق، وقد أصبحت أطلالاً، لا مال ولا رجال، ولا مساكن ولا حيوان، صار من بقي فيها من عسكر السلطان ومن أهلها يجتمعون ويتفارقون، ويخرجون من دمشق إلى الديار المصرية، فيخرج عليهم العربان والعشير، وينهبون ما معهم ويعرونهم ولم يتركوا لهم غير اللباس في وسطهم»[19].

وكذلك أصبحت حلب وحماة بعد الفتنة التيمورية مثل دمشق كالهيكل من العظم لا لحم ولا دم، وأصيبت بنقص من الأنفس وخراب من العمران، يبكي لها كل من عرف ما كانت عليه من السعادة قبل تلك الحقبة المشئومة كما يقول محمد علي كرد[20].

ولم تقف المأساة الإجتماعية عند هذا الحد، بل ازدادت الكوارث العامة في البلاد. ومن هذه الكوارث الغلاء الشديد كما ذكرنا، والطاعون.

---

١٦ الفلز: اسم لجواهر الأرض ومعادنها، كلها من الذهب والفضة والصفر والنحاس وغيرها (المعجم الوسيط، ج٢، ص ٧٠٧).

١٧ الأقبامية: صناع القبعة، والقبعة كما هو في معجم الوسيط (ج٢، ص ٧١٨) خرقة تخاط كالبرنوس يلبسها الصبيان.

١٨ البازدار: حامل البازي أو الجوارح من طيور الصيد (محيط المحيط، ص ٢٥).

١٩ خطط الشام، ج٢، ص ١٧٣-١٧٤.

٢٠ المرجع السابق، ج٢، ص ١٧٦ بتصرف يسير.

قال ابن العماد في حوادث سنة ٨٣٣ هـ: «وكان الغلاء شديد بحلب ودمشق، والطاعون المفرط بدمشق وحمص»[٢١]. وفي حوادث سنة ٨٣٨ هـ فقد قال: «كان فيها وباء عام في بلاد المسلمين والكفار، مات به من لا يحصى كثرة»[٢٢]. أما في حوادث سنة ٨٤١ هـ فقال: «وقع الطاعون في نصف الشتاء في البلاد الشامية فأكثر بحماة وحلب وحمص، ثم تحول إلى دمشق في أواخر الشتاء، ثم اتصل بالبلاد المصرية»[٢٣].

ومن الغريب جداً أن أمراء الدولة الشركسية مع ما لاقى الناس في حكمهم من العذاب والنهب والقتل والدمار، وما هو أكثر من ذلك من قبل تيمورلنك -مع ذلك كله- لم يعتبروا بهذه الكوارث كلها، فاستمروا على المنافسات والمنازعات السياسية خلال فترة حكمهم.

ولا شك أن استمرار هذه الحالة فيما بينهم كانت أبلغ أثراً في دمار دولتهم مما فعله تيمور بهم، فلو أنهم أدركوا انحرافهم عن دينهم فثابوا إلى رشدهم، وعرفوا قصورهم، وعادوا إلى ربهم، وتمسكوا بدينهم، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولم يتفرقوا، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه -لو أنهن فعلوا ذلك كله- أتاهم النصر من الله، ولم يذهب سعيهم سدى، لأن الله سبحانه وتعالى وعدهم بنصره لهم، وتثبيت أقدامهم، ماداموا ينصرون دين الله تعالى، حيث قال الله تعالى: «إن تنصروا الله ينصركم، ويثبت أقدامكم»[٢٤]. ولقوله تعالى: «فإن حزب الله هم الغالبون»[٢٥].

ومن هذا المنطلق نرى أن الشيخ ابن داود قضى حياته كلها في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وترسيخ العقيدة الصحيحة في قلوب الناس، وارشادهم إلى الحق، وإلى الصراط المستقيم، وتربية

---

٢١ الشذرات، ج٧، ص ٢٠٠.

٢٢ المرجع السابق، ج٧، ص ٢٢٥.

٢٣ المرجع السابق، ج٧، ص ٢٣٧.

٢٤ سورة محمد: ٧.

٢٥ سورة المائدة: ٥٦.

نفوسهم تربية إسلامية بحتة، حتى يواجهوا الفساد الدائم في البلاد، ويواجهوا أيضاً أعدائهم من الأمم الخارجية، امتثالاً لقوله تعالى: «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله»[٢٦].

وفي سبيل تحقيق هذه الغاية نرى الشيخ ابن داود يتصل بالحكام والنواب من رجال الدولة. وكان كثيراً ما يتصل بخلفاء برقوق، لأنه كان يحب العلم والعلماء، كما سنذكره في الحديث عن الحالة العلمية. وكان نواب الشام أيضاً يترددون عليه كثيراً كما سنذكره عند حديثنا عن أخلاقه ومآثره وثناء العلماء عليه.

وذا يدل على أن الشيخ ابن داود كعالم استغل فرصة حب رجال الدولة للعلم والعلماء، ومكانته عندهم في نصيحتهم لله ولرسوله وللمؤمنين.

٣- الحالة العلمية:

تقدم لنا ما اتسمت به الحياة السياسية والإجتماعية خلال حكم المماليك الجركسية -وهي الفترة التي تشغل النصف الأول من حياة ابن داود- من اضطراب وفساد.

ونلاحظ أن حالة الإبداع العلمي في هذا العصر بدأت في الركود، واتجه كثير من العلماء إلى جهود السابقين، أو وضع الحواشي، أو اختصار بعض المطولات، أو تجميع النصوص[٢٧].

ومع هذا كله فليس لنا إلا أن نثني على هؤلاء العلماء الذين بذلوا جهدهم في انتقاء النصوص، أو وضع الحواشي وما إلى ذلك في فترة ضاقت مجالات الإبداع فيها.
ومن الجدير بالذكر أن ما ذكرناه من الركود الإبداعي الذي حصل في

٢٦ سورة البقرة: ١٩٣.

٢٧ انظر: خطط الشام، ج٤، ص ٤٩ باختصار.

هذا العصر، لا يعني أن الحركة العلمية توقفت تماماً. فقد كان في هذا العصر عدد كبير من العلماء يقومون بتعليم الناس العلوم الشرعية واللغوية وغيرها من العلوم، كالحديث والتفسير والفقه والنحو والصرف والكلام وما إلى ذلك. وكانت هناك عدة مراكز علمية وثقافية أنشئت في هذه الفترة في مدن مختلفة. فكانت للقرآن مدارسه، وللحديث مدارسه، وهناك مدارس مشتركة بين القرآن والحديث، ومدارس لكل مذهب من المذاهب الأربعة إلى جانب حلقات الدروس والتعليم في المساجد التي كانت الطلبة يقصدونها من كل الأطراف.

وكانت المدارس في هذا العصر تتمتع بدخل ثابت يأتيها من ريع الأوقاف التي كانت توقف على المدارس. وكان يصرف من ذلك الدخل على عمارة المدارس، وعلى المعلمين والمتعلمين.

وكانت وظيفة التدريس بتلك المدارس جليلة القدر حيث يعين المدرس فيها من قبل السلطان، ويكتب له توقيعاً ينصبه فيه بأن يخلص عمله، ويحرص على طلابه، ويحثهم على الإستفادة من أوقافهم. وجرت العادة بأن يعين لكل مدارس معيد أو أكثر، ليعيد للطلبة ما ألقاه الشيخ، كما يعينهم في شرح ما لم يفهموه[٢٨].

وكانت هناك مكاتب لتعليم أطفال المسلمين القرآن الكريم ومبادئ العلوم، وقد إوقفت الأوقاف من قبل المحسنين للصرف على هذه المكاتب[٢٩].

وقد ألحقت بكل مدرسة أو جامع مكتبة تضم عدداً من الكتب الهامة، كما ألحقت ببعض الخوانق[٣٠]. وكان في كل مكتبة خازن للكتب، مهمته ترتيب الكتب وتنظيمها وحفظها وحبكها، وترميم ما يحتاج منها إلى ترميم، كما يقوم بإرشاد القراء إلى ما يحتاجونه منها. لذلك كان يختار

---

٢٨ أنظر: العصر المماليكي، ص ٣٣٣.

٢٩ أنظر: المرجع السابق، ص ٣٣٥.

٣٠ الخوانق: جمع الخانقاه وهي رباط الصوفية (المعجم الوسيط، ج١، ص ٢٥٩).

لخزانة الكتب شخص ذو فقه وأمانة[٣١].

ولا شك أن السلاطين كان لهم دور كبير في ذلك النشاط العلمي في ذلك العهد، حيث كان الكثير منهم يحسبون العلم والعلماء، وإنشاء المدارس والمساجد.

يقول الدكتور عبد الفتاح عاشور: «وكثير من أولئك السلاطين مثل برقوق وشيخ جقمق وقايتباي عرفوا لحبهم للأدب وجالس العلم، كما عرف بعضهم بالتقوى والورع، الأمر الذي تشهد عليه مؤسساتهم الخيرية من مدارس ومساجد وسبل ومشافي[٣٢] وغيرها. وربما كانت هذه المؤسسات ستاراً حاول به بعض هؤلاء السلاطين التكفير عن ذنوبهم، وتغطية ما قاموا به من أعمال ضد خصومهم[٣٣].

نشأته وأطوار حياته:

١- اسمه ونسبه:

هو زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الشيخ تقي الدين أبي الصفا أبي بكر بن الشيخ نجم الدين أبي سليمان داود بن عيسى الحنبلي[٣٤]

---

٣١ أنظر: النقد العربي في العصر المملوكي، ص ٢٦.

٣٢ المشافي: المستشفيات (المعجم الوسيط، ج١، ص ٤٩٠).

٣٣ مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، ص ٢٣٠ نقلاً من المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك.

٣٤ أنظر ترجمته في: الضوء اللامع، ج٤، ص ٦٢؛ التبر المسبوك، ج٢، ص ٤٠١؛ الدارس، ج٢، ص ٢٠٢؛ الشذرات، ج٧، ص ٢٨٨؛ الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد، ص ٦٣؛ كشف الظنون، ج١، ص ٣٦٩، ٧٣٣، ج٢، ص ١٥١٣؛ ايضاح المكنون، ج١، ص ١٣٢، ٢٧٨، ج٢، ص ١٦٢، ٣٨٤، ٦٠٠؛ هدية العسرفين، ج١، ص ٥٣٠-٥٣١؛ الأعلام، ج٤، ص ٧١؛ معجم المؤلفين، ج٥، ص ١٢٨؛ مختصرات التواريخ لدمشق، ص ٥٥٧؛ مفاتيح الفقه الحنبلي، ج٢، ص ١٧٦.

هكذا ورد اسمه ونسبه في الشذرات[35] كاملاً. إما المصادر الأخرى فقد اقتصرت على جده فقط.

٢- كنيته ولقبه ونسبه:

يكنى بأبي الفرج[36] وابن داود[37]. وقد اشتهر بهذه الكنية الأخيرة. وينسب إلى جده فيسمى له: الداودي[38]. وينسب أيضاً إلى قريته «الصالحية»، وهي قرية من قرى دمشق بجبل قاسيون[39]. وقد ينسب إلى مدينة دمشق نفسها فيقال الدمشقي، أو إلى مذهبه الفقهي فيقال الحنبلي، أو إلى طريقته فيقال الصوفي، أو البسطامي[40]. ويلقب بالزين[41] وبزين الدين[42].

٣- والده وجده:

والده هو أبو بكر بن داود الدمشقي الصالحي الحنبلي القادري، الولي الشهير العارف بالله، المسلك المخلص[43]، الفقيه المتين، الشيخ تقي الدين أبو الصفا. صوفي معدود في الصالحين، وهو على طريق السنة. مات سنة ٨٠٦. من تصانيفه: قاعدة السفر، الوصية الناصحة، الدر

---

٣٥ ج٧، ص ٢٨٧.

٣٦ أنظر: التبر المسبوك، والضوء اللامع، ومعجم المؤلفين.

٣٧ أنظر: الضوء اللامع، ومعجم المؤلفين، والأعلام.

٣٨ أنظر: منتخبات التاريخ.

٣٩ أنظر: معجم البلدان، ج٣، ص ٣٠؛ الضوء اللامع، ج٤، ص ٦٢.

٤٠ أنظر: الشذرات، ج٧، ص ٢٨٨.

٤١ أنظر: الضوء اللامع.

٤٢ أنظر: التبر، والشذرات، والدارس، وكشف الظنون.

٤٣ المسلك المخلص من مصطلحات الصوفية، ويبدو أن معناها الذي يسلك بالمريد في طريق التصوف، ويخلص روحه من أدناس الشهوات.

المنتقى المرفوع في أوراد اليوم والليلة والأسبوع، أدب المريد والمراد، والنصيحة الخالصة"[44].

وجده أبو سليمان عيسى الحنبلي، ويلقب بنجم الدين"[45].

وقد أثنى على الشيخ بن أبي بكر بن داود العلماء، ومن ذلك ما قاله السخاوي عنه: «تمسك به غير واحد، وأنشأ زاوية حسنة بالسفح فوق جامع الحنابلة، وتؤثر عنه كرامات، فيحكى أنه دخل وابنه معه كنيسة"[46] يهود جوبر في يوم سبت، وعلى منبره خمسة رجال من اليهود. فقال الشيخ أبو بكر: لا إله إلا الله، فانهدم بهم المنبر، وسجدوا بأجمعهم. كل ذلك من إلمامه بالعلم واتباعه للسنة»"[47].

وقال ابن حجر -رحمه الله- في معرض الثناء عليه: «وكان على طريقة السلف»"[48].

وسبق أن ذكرنا أن الشيخ أبا بكر توفي سنة ٨٠٦، وذلك في السابع عشر من رمضان، ودفن في حوش تربته من جهة الشمال قريباً من الطريق"[49].

٤- مولده:

ولد ابن داود في سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة، وعليه أكثر من

---

٤٤ أنظر: الشذرات، ج٧، ص ٨٥؛ معجم المؤلفين، ج٢، ص ٦١.

٤٥ أنظر: الشذرات.

٤٦ جاء في المعجم الوسيط (ج٢، ص ٨٠٦)، الكنيس: متعبد اليهود؛ الكنيسة: متعبد اليهود والنصارى.

٤٧ الضوء اللامع، ج١١، ص ٣١.

٤٨ أنظر: أبناء الغمر، ج٢، ص ٢٧٤.

٤٩ أنظر: الضوء اللامع، والشذرات.

ترجم له، وتعرض لولادته[50]. ألا أن بعض المؤرخين شذوا عن هذا القول وقالوا: إن ولادته كانت في سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة[51].

وفي رأيي أن التاريخ الأول لمولد ابن داود هو المؤكد حيث كتبه بخطه كما يقول السخاوي[52].

وإذا كان المؤلف قد كتب تاريخ ميلاده بخطه، فلا يسعنا إلا التسليم به، ولا سيما أن السخاوي كان تلميذاً لابن داود.

٥- نشأته الأولى:

لم تذكر لنا المصادر التي ترجمت للشيخ ابن داود مزيداً من التفصيل عن كيفية نشأته وأطوار حياته، ألا أننا من خلال ما اطلعنا على تلك المصادر نستطيع أن نقول: أن ابن داود نشأ في أسرة عريقة في الدين والعلم والمعرفة، ملازمة للأذكار والأوراد وقراءة القرآن، حيث حفظ الشيخ القرآن على يد والده، وأخذ عنه التصوف وحضر دروسه، ولازم قراءة الأوراد والأذكار، وتلقّن عن أبيه الذكر وسمع من مؤلفاته.

قال ابن العماد في ذلك: «ونشأ على طريقة حسنة، ملازماً للذكر وقراءة القرآن، والأوراد التي رتبها والده»[53].

وقال السخاوي: «ولد بجبل قاسيون من دمشق، ونشأ فيها، فحفظ القرآن وأخذ عن والده التصوف، وسمع عليه مؤلفه «أدب المريد والمراد» في سنة خمس وثمانمائة بطرابلس، ومنه تلقن الذكر ولبس الخرقة، بل ألبسها معه من الشهاب بن الناصح حين قدومه عليهما دمشق صحبة

---

٥٠ أنظر: الضوء اللامع، ج٤، ص ٦٢؛ التبر المسبوك، ص ٤٠١.

٥١ ونظر: الدارس، ومعجم الشيوخ.

٥٢ أنظر: الضوء اللامع، والتبر المسبوك.

٥٣ الشذرات، ج٧، ص ٢٨٨.

الظاهر برقوق". فكانت نشأته نشأة صالحة على يد أبيه الصالح».

٦- طلبه للعلم:

سبق أن ذكرنا أن ابن داود نشأ في بيئة يسودها العلم والمعرفة، ووجد عناية فائقة من أبيه بتعليمه وتربيته. لذلك حفظ القرآن مبكراً، وداوم على مجالس الفقه والتصوف. وتتلمذ على يد أبيه منذ صغره، وقرأ عليه مؤلفه «أدب المريد والمراد» في سنة خمس وثمانمائة وسنه إذ ذاك ٢٣ سنة.

وتفقه ابن داود كذلك على يد ابن ابراهيم بن محمد بن مفلح، وأخيه أكمل الدين، والعلاء بن اللحام. وأخذ عن ابن الناصر الحديث، ولازمه في أشياء سماعاً وقراءة. وقرأ على ابن الجزري الجزء الذي خرجه من مروياته المشتمل على المسلسل والمصافحة والمشابكة وبعض العشاريات ببباسطية دمشق. وسمع عن المحب الصامت الشوبة والمتابعة لابن أبي العاصم، وكذلك البخاري. وكذلك سمع ابن داود غالب الصحيح على ابنة ابن الهادي والجمال بن الشرائحي.

وقد التقى بالتاج بن بردس ببعلبك، وسمع عليه في سنة ثمان وعشرين وأجاز له أخوه العلاء.

وسوف نترجم لشيوخ ابن داود بعد الحديث عن وفاته إن شاء الله تعالى.

٧- رحلاته:

الرحلة في طلب العلم عادة قديمة، بدأت في زمن الصحابة -رضي الله تعالى عنهم-، واستمرت مع التابعين، والعلماء بعدهم، حتى صارت

٥٤ الضوء اللامع، ج٤، ص ٦٢؛ التبر المسبوك، ص ٤٠١.

فيما بعد منهجاً ضرورياً للمحدثين، وذلك لعظم فوائدها من حيث التثبت في الحديث وطلب العلو في السند، ومعرفة أحوال الرجال وغيرها من الفوائد التي لا يستغني المحدث عنها، ولا يتمكن من الحصول عليه بدون الرحلات الطويلة عليها. لكن المصادر التي بين أيدينا لا تصرح بأن ابن داود قام برحلات علمية تستغرق منه شهوراً أو سنين عديدة، وإنما تذكر عنه فقط أنه:

- خرج إلى الحج أكثر من مرة.
- زار بيت المقدس وفيه لبس الخرقة عن البسطامي.
- زار الخليل.
- خرج إلى طرابلس في سنة ٨٠٥ هـ وسمع فيها عن والده كتاب «أدب المريد والمراد» كما سبق أن ذكرناه سابقاً.
- خرج إلى بعلبك والتقى فيها بالتاج بن بردس وسمع عليه وذلك في سنة ٨٢٨ هـ. وسمع منه قطعة من أول السيرة لابن اسحاق، وقطعة من صحيح مسلم، وقطعة من جامع الترمذي[٥٥].
- خرج إلى طرابلس والبقاع سنة ٨٣٧ هـ[٥٦].

وربما أتيح لابن داود خلال حجاته المتعددة، وزياراته لبيت المقدس، والخليل وغيرها لقاء بعض العلماء والاستفادة منهم، ولا سيما أن ذلك كان في فترة شبابه، حيث كانت حجته وهو في سن السادسة والعشرون.

ومما يذكر أن ابن داود لم يرحل خارج بلاد الشام إلا لأداء فريضة الحج، وذلك لكثرة عدد العلماء فيها، بالإضافة إلى أن تلك البلاد كانت مركز العلوم والحضارة. فكان العلماء يأتونها من كل مكان.

ومع هذا كله فإن للرحلة فوائد كثيرة جداً، فضلاً على أنها باب جليل من أبواب الجهاد. حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سلك

---

٥٥ أنظر: معجم الشيوخ، ص ١٢٥.

٥٦ أنظر مقدمة كتابه: تفريج الكروب في تعديل الدروب.

طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله عليه به طريقاً إلى الجنة »[٥٧].

٨- مجلسه للتدريس ومشيخته للزاوية:

جلس ابن داود للتدريس بعد أن خلف أباه في مشيخة زاويته. وكان سنه إذ ذاك أربعاً وعشرين سنة، حيث كانت وفاة والده سنة ٨٠٦ هـ كما أسلفنا.

واستفاد من علمه كثير من الناس، والمريدون ورواد الزاوية. وكان يتردد عليه نواب الشام والقضاة والفقهاء من كل مذهب[٥٨].

وقد لازم التدريس ومشيخة الزاوية طوال حياته، فلم يتول أي منصب غير التدريس، وتربية المريدين، والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٩- أعماله:

لم تذكر المصادر أن ابن داود تولى شيئاً من مناصب الدولة وأعمالها، وإنما ذكرت له بعض الأعمال الخيرة التي قام بها تعميماً للفائدة، وقياماً بالواجب. ومن ذلك مشيخته للزاوية، ونظارته لمدرسة ابي عمر، وإقامة الخان في قرية الحسينية، من وادي بردى على طريق بعلبك وطرابلس يأوي إليه المسافرون، وإزالة عقبة دمر، وعمارة مدرسة ابي عمر لمّا كان ناظراً عليها، وعمارة البيمارستان القيمري[٥٩] وما إلى ذلك من الأعمال الخيرة التي سنذكرها فيما بعد عند حديثنا عن أخلاقه ومآثره وثناء العلماء عليه.

---

٥٧ أخرجه مسلم في صحيحه (ج٤، ص ٢٠٧٤).

٥٨ انظر: الضوء اللامع، ج٤، ص ٦٣؛ التبر المسبوك، ص ٤٠١.

٥٩ انظر: الدارس، ج٢، ص ٢٠٢.

١٠- وفاته:

اتفقت المصادر التاريخية على ابن داود توفي سنة ٨٥٦ هـ واختلفوا في محل دفنه. قال السخاوي وابن عماد: «دفن في زاويته»[٦٠]، وقال الزركلي: «مولده ووفاته في دمشق»[٦١]. وقال عمر رضا كحالة واسماعيل باشا: «دفن بالقدس»[٦٢].

أما قول الزركلي أن مولده ووفاته في دمشق فلا يشكل خلافاً في ذلك، لأن الصالحية قرية تابعة لها، فتذكر المدينة بدل القرية عرفاً. وأما قول اسماعيل باشا وعمر كحالة إنه دفن بالقدس فليس بصحيح، لأن السخاوي كان تلميذاً لابن داود، ومات بعده بست وأربعين سنة، فهو أدرى بمحل دفنه من غيره. ثم أن أحداً من المؤرخين لم يذكر أن ابن داود مات بالقدس.

وقد أورد السخاوي تاريخ وفاته مع ذكر محل دفنه فقال: «ومات في ليلة الجمعة سلخ ربيع الآخر سنة ست وخمسين بعد قراءة أوراد الجمعة بيسير فجأة، وصلي عليه بعد صلاة الجمعة بالجامع المظفري في مشهد عظيم جداً ودفن في قبر كان أعده لنفسه داخل بيت زاويته رحمه الله وإيانا»[٦٣].

وقال النعيمي في ذلك: «توفي رحمه الله تعالى من غير علة ولا ضعف ليلة الجمعة تاسع عشرين شهر ربيع الآخر سنة ست وخمسين وثمانمائة عن نحو من ثلاث وسبعين سنة، من غير ولد ذكر ودفن بزاويته هذه»[٦٤].

---

٦٠ الضوء اللامع، ج٤، ص ٦٣.

٦١ الأعلام، ج٤، ص ٧١.

٦٢ معجم المؤلفين، ج٥، ص ١٢٨؛ هدية العارفين، ج١، ص ٥٣١.

٦٣ الضوء اللامع، ج٤، ص ٦٣؛ التبر المسبوك، ص ٤٠٢.

٦٤ الدارس، ج٢، ص ٢٠٢.

وقال ابن العماد: «وتوفي ليلة الجمعة سلخ ربيع الآخر، ودفن بالتربة التي أنشأها قبيل قبلي زاويته المشرقة على الطريق يمين الداخل»[٦٥].

شيوخه وتلاميذه:

١- شيوخه:

تقدمت الإشارة فيما سبق إلى أن ابن داود له شيوخ وإن كانوا قليلي العدد، ومنهم:

١ - والده أبو بكر بن داود الدمشقي وقد سبقت ترجمته.

٢ - برهان الدين بن مفلح: وهو ابراهيم بن محمد بن مفلح بن محمد الرامني الأصل، الدمشقي المقدسي الحنبلي، أبو اسحاق، برهان الدين، عالم فقيه، ولد سنة ٧٤٩ ، ومات بدمشق سنة ٨٠٣ هـ من تصانيفه: طبقات الإمام أحمد، كتاب الملائكة، شرح المقنع، فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم[٦٦].

٣ - علي بن محمد بن عباس بن شيبان الدمشقي الحنبلي، أبو الحسن، علاء الدين، المعروف بابن اللحام. فقيه أصولي، أصله من بعلبك. مات سنة ٨٠٣ من تصانيفه: القواعد الأصولية والأخبار العلمية في اختيارات الشيخ تقي الدين بن تيمية[٦٧].

٤ - الشهاب بن ناصح، قال ابن العماد في حوادث سنة أربع

---

٦٥ الشذرات، ج٧، ص ٢٨٩.

٦٦ الأعلام، ج١، ص ٦١؛ معجم المؤلفين، ج١، ص ١٠٧.

٦٧ معجم المؤلفين، ج٧، ص ٢٠٦.

وثمانمائة: «وفيها شهاب الدين أحمد بن محمد المصري، نزيل القرافة، ابن الناصح». وقال ابن حجر: «سمع من الميدومي وذكر أنه سمع من ابن عبد الهادي، وحدث عنه بمكة بصحيح مسلم، وحدث الميدومي بسنن أبي داود وجامع الترمذي سماعاً، أخذت عنه قليلاً، وكان للناس فيه اعتقاد. ونعم الشيخ كان سمتاً وعبادة ومروة. مات في أواخر رمضان، وتقدم في الصلاة عليه الخليفة»[٦٩].

٥ – البسطاسي: لم أقف له على ترجمة.

٦ – عائشة بنت محمد بن عبد الهادي المقدسي، أم محمد، سيدة المحدثين في عصرها بدمشق. ولدت سنة ٧٢٣ بدمشق وماتت بها سنة ٨١٦ قرأت صحيح البخاري على الحافظ الحجار، وروى عنها ابن حجر، وقرأعليها كتباً عديدة كصحيح البخاري[٧٠].

٧ – جمال الشرائحي، قال ابن العماد في حوادث سنة عشرين وثمانمائة: «وفيها جمال الدين عبد الله بن ابراهيم بن خليل البعلبكي الدمشقي، المعروف بابن الشرائحي الشافعي». وقال ابن حجر: «ولد سنة ثمان وأربعين وسبعمائة، وأخذ عن الشيخ جمال الدين بن بردس وغيره. ثم دخل دمشق، فأدرك جماعة من أصحاب الفخر وأحمد بن سنان ونحوهم، فسمع منهم، ثم من أصحاب ابن القواس وابن عساكر، ثم من أصحاب القاضي والمطعم، ومن أصحاب الحجار ونحوه، ومن أصحاب الجزري، وبنت الكمال والمزي فأكثر جداً، وهو مع ذلك أمي وصار أعجبة دهره في معرفة الأجزاء والمرويات ورواتها، ولديه مع ذلك محفوظات وفضائل ومذكرات حسنة. وكان لا ينظر إلا نظراً ضعيفاً. وقد حدث بمصر والشام، وولي تدريس الحديث بالمدرسة الأشرفية بدمشق إلى أن مات في هذه السنة»[٧٠].

---

٦٨ الشذرات، ج٧، ص٤٢.

٦٩ معجم المؤلفين، ج٩، ص ٥٦؛ الأعلام، ج٤، ص ٦.

٧٠ الشذرات، ج٧، ص ١٤٦.

٨ – التاج بن بردس: هو تاج الدين محمد بن اسماعيل بن محمد بن بردس البعلبكي، الحنبلي، أبو عبد الله بن العماد، ويعرف بابن بردس، فقيه، ناظم. ولد ببعلبك سنة ٧٤٥، وسمع من والده وأسمعه أيضاً من عدة. مات سنة ٨٣٠ هـ[٧١].

٩ – الصب الصامت: لم أقف له على ترجمة.

١٠– ابن الجزري: هو محمد بن محمد بن علي بن يوسف، أبو الخير، شمس الدين العمري الدمشقي، ثم الشيرازي الشافعي، الشهير بابن الجزري، شيخ الاقراء في زمانه، من حفاظ الحديث. ولد في دمشق سنة ٧٥١ هـ ونشأ فيها، وابتنى بها مدرسة سماها دار القرآن، ورحل إلى مصر مراراً، ودخل بلاد الروم، وسافر مع تيمورلنك إلى ما وراء النهر، ثم إلى شيراز، فولي قضاءها، ومات فيلها سنة ٨٣٣ هـ. نسبته إلى جزيرة بن عمر. له مؤلفات كثيرة، منها: النشر في القراءات، الشعر، غاية النهاية في طبقات القراء، ملخص تاريخ الإسلام، تقريب النشر وتحبير التيسير، الدرية المضيئة في القراءات، طيبة النشر في القراءات العشر، وله نظم وأكثر أرجوزه في القراءات[٧٢].

١١– ابن ناصر الدين: هو محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن محمد القيسي، أبو عبد الله الدمشقي، الشافعي، وقيل الحنبلي، الشهير بابن ناصر الدين، حافظ مؤرخ ناظم. ولد بدمشق سنة ٧٧٧ هـ، وتوفي بها سنة ٨٤٢، ودفن بمقبرة باب الفراديس، من تصانيفه: المولد النبوي في ثلاث مجلدات، الأعلام بما وقع في مشتبه الذهبي من الأوهام، منظومة بديعة البيان عن موت الأعيان، افتتاح القاري لصحيح البخاري[٧٣].

١٢– العلاء بن بردس: هو علي بن اسماعيل بن محمد بن بردس، العلاء، البعلي الحنبلي، أخو التاج محمد، ويعرف بابن بردس. ولد سنة

---

٧١ الضوء اللامع، ج٧، ص ٢٤٢.

٧٢ الأعلام، ج٨، ص ٤٥.

٧٣ الشذرات، ج٧، ص ٢٤٣؛ معجم المؤلفين، ج٩، ص ١١٢–١١٣.

٧٦٢ هـ ببعلبك، ونشأ بها فسمع من جماعة من أصحاب الفخر ... حدث ببلده وبدمشق، واستقدم القاهرة فحدث بها أيضاً، وأخذ من الأعيان ... ومات بدمشق سنة ٨٤٦ هـ، ودفن بتربة الشيخ أرسلان، وكان شيخاً نحيفاً ديّناً"[٧٤].

٢- تلاميذه:

يذكر لنا السخاوي في كتابيّ الضوء اللامع[٧٥]، والتبر المسبوك[٧٦] أن ابن داود عندما خلف والده في مشيخة الزاوية التي بناها فوق جامع الحنابلة انتفع به المريدون. وقد حدث باليسير من الحديث، وأخذ عن الفضلاء. لكن المصادر التي ترجمت لحياته لم تذكر لنا من تخرج به وأخذ منه. وإنما أجاز لبعض الفضلاء، ومن هؤلاء:

١- شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي[٧٧].

٢- عمر بن فهد الهاشمي[٧٨].

٣- أبو البركات بن الجيعان الولوي، أحمد بن الشرفي المولود سنة ٨٤٩ هـ[٧٩].

ثقافته ومؤلفاته:

١- ثقافته:

علمنا فيما سبق أن ابن داود نشأ في أسرة عريقة في الدين والعلم

---

٧٤ الضوء اللامع، ج٥، ص ٩٣ باختصار.

٧٥ ج٤، ص ٦٢.

٧٦ ص ٤٠١.

٧٧ نص على أخذه الإجازة منه في الضوء اللامع (ج٤، ص ٦٢).

٧٨ عده من شيوخه في معجم الشيوخ(ص ٢٢٤) فقال: الشيخ السابع والتسعون عبد الرحمن بن أبي بكر بن داود، ثم ترجم له.

٧٩ ذكر السخاوي في الضوء اللامع (ج١١، ص ١٢) أن ابن داود من شيوخه الذين أجازوا له.

والمعرفة، ووجد من والده عناية. ولذا ترسخ في قلبه حب العلم، وبذل في تحصيله جهداً كبيراً، حتى نبغ في ميادين شتى من العلم والمعرفة، وصار من العلماء الذين شاركوا في علوم مختلفة من فقه وحديث وتفسير وكلام وتصوف وطبيعة وغير ذلك. وقد صدق عمر رضا كحالة إذ وصفه فقال: «صوفي مشارك في علوم»[٨].

ويدل على سعة علمه وتنوع ثقافته أخذه العلم من العلماء البارزين في علوم مختلفة كما ترجمنا لهم فيما سبق من هذه المقالة.

ويدل أيضاً على سعة علمه وثقافته مؤلفاته التي سنذكرها في الفقرة التالية بما تضمنته من علوم متعددة وموضوعات كثيرة، كما يدل على ذلك بصفة خاصة كتابه «الكنز الأكبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» لكثرة ما رجع إليه ونقل عنه من المراجع التي أخذ منها مادة كتابه هذا، حيث أكثر فيه من النقل في الأحاديث والآثار وأقوال العلماء من المفسرين والفقهاء وغيرهم.

كما يشهد لسعة علمه تردد رجال الدولة والقضاة والفقهاء من كل مذهب للأخذ عنه والإستفادة من علمه.

٢- مؤلفاته:

ذكرنا فيما مضى أن للشيخ ابن داود مؤلفات قيّمة تتضمن من علوم مختلفة. الا أن كل من ترجم له لم يذكر جميع مؤلفاته، بل أن بعضهم لم يذكر شيئاً من أسمائها ألبتة، واكتفى بعضهم بذكر واحد منها، والبعض الاخر ذكر منها ثلاثة أو أربعة، وزاد بعضهم على ذلك.

ومن خلال تتبعي لكتب التراجم وفهارس المخطوطات وقفت على عشرة مؤلفات لابن داود أذكرها مرتبة حسب تسلسلها الهجائي فيما يلي:

---

٨. معجم المؤلفين، ج٥، ص٢١٨.

١ -الإنذار بوفاة المصطفى المختار.

٢ -تحفة العباد في أدلة الأوراد.

٣ -تسلية الواجم في الطاعون الهاجم.

٤ - تفريج الكروب في تعديل الدروب.

٥ - الدر المنتقى المرفوع في أوراد اليوم والليلة والأسبوع.

٦ - فتح الأغلاق في الحث على مكارم الأخلاق.

٧ - الكنز الأكبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.(في مجلدين كبيرين، وهو الكتاب الذي قمت بتحقيق ودراسة الجزء الثاني منه، وقام الأخ الدكتور محمد نور مصطفى الرهوان السوري الجنسية بتحقيق ودراسة الجزء الأول منه لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة الإسلامية فنالها ونلتها أنا أيضاً).

٨ - موقع الأنوار ومآثر المختار.

٩ - المولد الشريف.

١٠- نزهة النفوس والأفكار في خواص الحيوان والنبات والأحجار.

هذه هي مؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن داود -رحمه الله تعالى- التي عثرت عليها في كتب التراجم وفهارس المخطوطات. غير أن هذه المؤلفات كلها لم تطبع حتى الان.